

النحو والنحاة

في نيجيريا

محاضرة ألقاها فضيلة العلامة الشيخ الدكتور:

محمد الناصر المختار الناصر الكبري رحمه الله تعالى

في قسم اللغة العربية بجامعة عبد الله بايرو، كنو

اعتنى به:

الفاتح قريب الله الناصر كبر

(1431هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على النبي الكريم

[مقدمة]

وبعد: طالب مني الأستاذ رئيس قسم اللغة العربية بكلية بايرو الجامعية بـ(كانو)، أن أساهم بحديث عن: "النحو والنحاة في نيجيريا"، ضمن سلسلة الندوات التى يلقيها أعضاء هيئة التدريس بهذا القسم.

وقد يتعجب البعض من أن يطلب مثل هذا الموضوع من شيخ من شيوخ الصوفية، ولكن دراسة الإسلام في نيجيريا تتطلب بصفة خاصة دراسة اللغة العربية، ضرورة أن العربية لغة الإسلام، وأن أهل هذه البلاد لا يتكلمون هذه اللغة.

ولما كانت الدراسة التقليدية في العالم العربي لا تفصل كثيرا بين علوم اللغة وعلوم الدين، فقد درس جميع شيوخ نيجيريا وعلمائها اللغة العربية من نفس الكتب القديمة التى لا تزال تدرس في الجامعات الإسلامية التقليدية، كالأزهر وجامع الزيتونة بتونس.

ولقد بلغ مقدار الإهتمام باللغة العربية في نيجيريا، أنها إلى حدّ كبير، هي اللغة التى تدور بها المحاورات بين الطرق الصوفية المختلفة، وأنها لغة الأذكار والأوراد والمدائح النبوية، إلى جانب أنها اللغة العلمية المستعملة في دراسة الفقه والتفسير والحديث وسواها من العلوم الإسلامية.

وبالرغم من موجة التعليم الحديثة، التى تستعمل اللغة الإنجليزية لغة للتعليم في المدارس فإن العربية لا تزال لغة العلماء وتلاميذهم، ممن انقطعوا للدراسات العربية والإسلامية.

وتختلف حلقات العلم في نيجيريا عن نظيراتها في العالم العربي؛ في أن المسجد لا يستعمل للتدريس، وذلك لأنه مخصص للعبادة، ولهذا فإن هذه الحلقات توقد في بيوت المعلمين، وكلمة (مالم) في لغة الهوسا مأخوذة من كلمة (معلم) العربية، وهي تطلق على من درس علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية ثم انقطع لتعليمهما.

وقد اشتهرت المدن النيجيرية بمختلف الدراسات العربية والإسلامية، فمن المعلمين من تخصص في دراسة العربية وأدبها.

ونحن – هنا – نقصر الحديث على علماء نيجيريا، والمعروفين بطول باعهم في دراسة النحو العربي، ولكن يجدر بنا قبل البدإ في الحديث عنهم أن نتحدث عن نظام التعليم في الخلوة أو المدرسة القرآنية، ثم عن المدارس العليا التى تعقد في بيوت المعلمين.

[المدارس القرآنية]:

أمّا المدرسة القرآنية فهي المدرسة الأولى في حياة الطفل، وفيها يجتمع التلاميذ في ظل شجرة، أو في بيت معلم لحفظ ما تيسّر من القرآن الكريم ومبادئ الكتابة القراءة العربية، وهذه مرحلة يكاد يمرّ بها جميع الأطفال المسلمين في شمالي نيجيريا، حتى هؤلاء الذين يلتحقون – فيما بعد – بالمدارس الحكومية، ويحرص بعض آباء التلاميذ على إرسال أبنائهم إلى المدرسة القرآنية بعد نهاية يومهم في مدارس الحكومة.

ومن بين هؤلاء الأطفال جماعة يحرص آباؤهم على استمرارهم في الدراسة العربية، في أحد المدارس العربية الحكومية في منازلهم، أو على يد معلم معروف، وبعد بلوغهم درجة عالية من المعرفة يمكنهم أن يتوسعوا دراساتهم على يد عالم كبير.

وعلاقة المتعلم بالعالم كعلاقة الأب بابنه، فالطالب يحترم أستاذه إحترام المريد لإمامه، يطيعه ويبجله، ويكن له في نفسه قداسة يعكسها جلوسه أمامه، فهو لا يجلس حتى يجلس شيخه، ولا يرفع صوته في حضرته، ويأخذ منه ما يعطيه بكلتا يديه، ولا يتحدث إليه إلا منخفض الرأس، والشيخ بدوره يعتبر تلميذه إبنا له، وقد يبلغ به الأمر إلى حدّ أن يسمح له بالسكنى في بيته، وأن يجري عليه ما قد يحتاجه من أرزاق.

وقد جرت العادة على أن يذهب الطالب منفردا أو مع زملائه إلى أحد الشيوخ، ويطلب إليه قراءة كتاب معين في مادة معينة ، ويحدّد له الشيخ وقتا معينا يلتقي به ويقرأ معه نصّ الكتاب، ويتناوله بالشرح والتعليق .

[دراسة النحو العربي]:

وبالنسبة لدراسة النحو العربي، يقع اختيار الطالب على أحد الكتب النحوية القديمة المعروفة، مثل: الآجرومية أو قطر الندى، كما قد يختار الطالب كتابا من الكتب النحوية التى ألفها علماء نيجيريا أنفسهم، ولعل من أشهر هذه الكتب: "كتاب الشامل" لموسى الأديب؛ وهو عالم عاصر في عصر الجهاد، وقد قرظ الأستاذ الشيخ عبد الله بن فودي هذا الكتاب بهذه الأبيات:

عليك يا طالبا للنحـــــــو والأدب	بالجامع الشامل المعروف في الكتــب
الموجز السهل ذي الأمثال لأنـــــها	فإنه عجب من أعجب العجـــب
للمظهر النحو حادي الإجتـــهاد به	ففاق أقرانه في العجم والعــــرب
موسى الأديب لعبد الله نسبـــــته	حفيد جبريل صافي الدين والنسب
ما ضرّه كونه قد جاء في زمــــن	يقل فيه صـــــــلاح المرء بالأدب
هذي عصاه لمن قد كان حاسده	فألقها تتلقف ظلمـــــــة الريب

الله يعلم ما في القلب من خـــلق   في حب . . . .[1]

والله يجزيه خيرا في صنيعـــته   وزاده الفتح والإدمان في القــرب

والشيخ – هنا – يذكرنا في بيت "هذي عصاه" الخ، بقول مقرظ القاموس :

من مد مجد الـــدين في أقرانه   من بعض أبحر علمـــه القاموسا

ذهبت صحاح الجوهري كأنها   سحـر المدائن حين ألقى موسى

ولموسى الأديب كذلك "سلم الطالع" في شرح الكوكب الساطع للسيوطي، وهو كتاب في الأصول، وله كذلك كتاب "شرح الفريدة" للسيوطي أيضا ؛ وللشيخ عبد الله بن فودي تعاليق عليها ، ومنظومته في علم الصرف سماها "الحصن الرصين"، وقد شرحها وعلق عليها؛ كما شرحها ابن راجي المسمى (طن ميتوكا) Dan maitoka، في مخطوط مطول .

ومن المؤلفات النيجيرية المعروفة كتاب يسمى باسم: "ما هو"، ذكره في كتاب كنز الذراري والأولاد للأستاذ محمد شبكولو؛ وهو نيجيري، يسكن قرية (ورشو) Warshu، التى تدخل في نطاق دولة (تشاد) –الآن– ومات بها .

---

[1] هكذا ورد .

ومنها: كتاب "يا طالب الإعراب"، وهو مخطوط ، لا يعرف صاحبه، وهو عبارة عن منظومة (رائية) من البحر الطويل، عليها شرح وتعليق من المؤلف .

[و] من الكتب المشهورة – هنا – أيضا كتاب "أحمرار بن بونه"، وابن بونه هذا من علماء السودان، من أراضي (مالي) الآن، وقد عاش في زمن سيدي مختار الكنتي، في منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، والكتاب عبارة عن أبيات "ألفية ابن مالك" في النحو العربي، وزاد عليها المؤلف أبياتا وشرحها شرحا موجزا غامضا ، وقد كُتبت هذه الأبيات المزيدة بمداد أحمر ، ومن هنا عرف الكتاب باسم الأحمرار ، وأضيف لاسم مؤلفه .

ومن الكتب المشهورة في النحو هنا : "أرجوزة ابن الهائم"، ويغلب على ظني أن المؤلف: أبا العباس أحمد بن الهائم ، [الـ]ـمصري الأصل، وقد علق المؤلف على الأرجوزة في نفس المخطوط .

وقد نظم الأستاذ علي (غُرغ)Gurgu من علماء مدينة (غُومبي)Gwambe بنيجيريا كتاب "قطر الندى" لابن هشام في مخطوطة تحتوي على شرح وتعليق من المؤلف .

كما نظم الشيخ الطاهر فيرمّ منظومة في علم الصرف تعرف باسم "الدرر اللوامع" في مخطوطة، به شرح وتعليق .

وللشيخ محمد بن راجي (طن ميتوكا)Dan maitoka، أرجوزة سماها "مصباح الأفعال"، ومن أرجوزته:

جملة ما فيها من الأفعال   خمسة آلاف رمز ثالي

وهي، يعنى أن الأفعال في العربية يبلغ عددها خمسة آلاف وخمسمائة فعل، وقد ذكر الخمسة آلاف بلغتها، أما الخمسمائة فهي مجموع فيه حروف كلمة (ثالي) بحساب الجمل المعروفة.

وله أرجوزة في الصرف، وهي مخطوطة، وله عليها تعليق بخط يده المباركة.

وقد قمنا بمجهود متواضع في هذا الصدد، حيث نظمنا كتاب العوامل للجرجاني، وهذا كتاب مطبوع في مصر، يدرس العوامل النحوية، وتوجد منظومتنا مخطوطة مع تعليق وشرح.

نكتفي هنا بما ذكرنا – مثلا – لنشاط علماء نيجيريا في ميدان دراسة اللغة العربية وقواعدها، وننتقل الآن إلى أشهر المدارس النحوية في هذه البلاد.

[أشهر المدارس النحوية]:

ومما سبق يتضح أن المدارس النيجيرية قد أخذت علوم العربية وعلوم الدين من مراكز هذه الدراسات في العالم العربي، وأهمها سبعة، وهي: العراقية والمصرية والليبية والفزّانية والتونسية والتمبكتية والفاسية.

أما العراقية: فيرجع الاهتمام بها إلى وجود الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد، التى يؤمها أتباعه من أتباع الطريقة القادرية المشهورة في نيجيريا لزيارة الشيخ وتلقي العلم في حضرته، ومن أهم من تخرج من المدرسة العراقية شيخنا محمود البغدادي الذى يسكن بـ(أغْلنغَ) Aglanga[2] واستشهد ودفن بها .

أما المصرية: فتتمثل في جامع الأزهر الشريف، وقد تخرّج عدد كبير من علمائها ، ومنهم: شيخ الشيوخ سيدي جبريل، وقد سمع عن الشيخ الدردير والشيخ مرتضى الزبيدي، كما تلقى العلم في الأزهر أيضا شيخنا محمد الأمين الكانمي، أحد ملوك (برنو) ، والشيخ محمد الكشناوي: وهو من المؤلفين المعروفين في هذه البلاد .

وقد بلغني أن مي إدريس أحد ملوك (برنو) النبلاء؛ قد اشترى دارا كبيرة بالقرب من الأزهر، ووافقها لطلاب العلم ، وقد صارت هذه الدار مقصدا لطالبي العلم من هذها لبلاد .

وقد لعب جامع القرويين بمدينة فاس دورا مماثلا لدور الأزهر في مصر، ومن تلاميذه : سيدي الشيخ فتح الله القيرواني، ويعرف هنا باسم (بُنسُرن دالَ) Bunsurun dala، أي تيس دالَ، و(دالَ) جبل معروف في مدينة كنو ، وفي لغة الهوسا يطلق التيس على الرجل الشجاع، كما يطلق عليه في العربية لفظ (جمل) ، وقد كان الشيخ يعرف في بلاده باسم بوراس (أي صاحب

---

[2] تقع حاليا في مدينة أغدس بجمهورية النيجر .

الرأس)، وربما كان الشبه الصوتي بين الكلمة (بوراس) والكلمة الهوسية (بُنسرن) هي السبب في إطلاق هذا الاسم عليه.

ومن علماء فاس أيضا: سيدي محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني الأصل، وقد جاء إلى نيجيريا وصار له أتباع ومريدون.

ومنهم سيدي عبد الله البرنوي واحد[أحد] العلماء الأولياء، الذي أسس مدينة (كُلن فَردُ)Kulun fardu، التي كانت مدينة هامة في إقليم (برنو)، والتي قامت على أنقاضها مدينة (غَزَرغُمو)، التي تعرف الآن باسم (ميدغري)، عاصمة إقليم (برنو) الآن.

ومن المدرسة التونسية وفد إلى بلادنا سيدي محمد زهره التونسي، وتخرّج على يديه عدد من العلماء الأجلاء، ويطلق على الشيخ محمد زهره اسم (ولي مَيكَرغُو)، و (كَرغُو): شجرة معروفة في نيجيريا، وبعد وفاة الشيخ نبتت واحدة من هذا النوع من الشجر في قبره، فسمي بهذا الاسم.

ومن المدرسة الليبية: تخرج عدد كبير من العلماء، منهم: سيدي عبد القادر البرنوي القرقري، وهو أديب معروف.

ومن فزان: وفد عدد من علماء مدرسة (زَكْزَكْ)، الكونوية و(زكزك) هي مدينة زاريا الحالية، وسميت (الكونوية) نسبة إلى عالم كبير من علمائها، إسمه إمام كُونا .

ومن أشهر علماء هذه المدرسة: شيخنا عبد الله سِكَ؛ من علماء (كنو)، وقبره بها، يزوره الناس.

وفي تمبكت لعبت جامعة سنكوري دورا لايقل عن دور الأزهر، في خدمة العربية والدين، ومن خريجي هذه الجامعة: سيدي عبد الرحمن زيتي، وقد عُرف بتدريس المدوّنة البرادعية، وهي كتاب في فقه المالكية ألفه [الشيخ خلف البرادعي] المصري، أحضره إلى نيجيريا الشيخ عبد الرحمن الزيتي . ومن تلاميذ تمبكتو أيضا جدنا الأعلى مالم كبر، نفعنا الله ببركتهم.

أما أشهر مدارس تعلم النحو واللغة في نيجيريا، فهي:

1. المدرسة الجندوتية: وتنسب إلى بلدة "جندوتو" بولاية سوكوتو، وقد ازدهرت إزدهارا كبيرا، ثم انطمست معالمها، ويروى أن أبناء هذه المدرسة قد تنكروا لشيخنا عثمان بن فودي رضي الله عنه، فدعى عليهم فمزقها الله تعالى، والعياذ بالله تعالى من المكابرة على أوليائه الأكابر.
2. المدرسة الكاشنية: وتنسب إلى مدينة كشنا Katsina، (كاتسينا الآن)، ومن علمائها: ابن مسنه، وسيدنا محمد بن الصباغ، وسيدنا ابن تاكم، وسيدنا ابن مكدُنَ

وسيدنا مالم كِسكُو Kisko الفقيه، والحاج محمد الأول المدفون في (غُرَم) بولاية كنو[3]،

والإمام (طن بَري بَرَقُورَفي) Danbare bari korafi وغيرهم.

3. المدرسة الكانوية: وتنسب لمدينة كنو، ومن علمائها: سيدنا إبراهيم موسى غِيرُو، وسيدي محمد البعاوي، وإمام شيطيه Chediya المدفون بقرية (دربندِي) Dirbunde، والأستاذ شططيم، (الذى تحول إسمه الآن إلى ستتيم)، وسيدي أحمد (غونكين درمه) Gwankin darma.

4. المدرسة الأغدسية: ومن علمائها الشيخ جبريل بن عمر، والشيخ محمد العافية والشيخ محمود الجيلاني المدفون بأغلغ، وإمامنا الشيخ عثمان بن فودي وابنه [الشيخ محمد بللو] والشيخ عبد الله بن فودي وتلاميذهم رضوان الله تعالى عليهم.

5. المدرسة الزكزكية: وتنسب لمدينة زكزك، وهو الاسم القديم لمدينة زاريا الحالية.

6. المدرسة البرناوية: وتنسب لمنطقة (برنو)، التى كان لها دورها السياسي الهام في تاريخ الحركة الإسلامية والعربية، ومن علمائها: شيخنا البكري، وتلميذه الشيخ طاهر فيرم، والشيخ حرم، والشيخ محمد الوالي الباغرمي، والشيخ ثنب كلو، والشيخة فاطمة أم هانئ الشاعرة، و[لها] منظومتان مشهورتان، تعرف الأولى باسم "الكريم يقبل تائبا أتاه"، واسم الأخرى "إذا كنت في هم وغم وكربة".

---

[3] وتقع حاليا في ولاية جغاوا Jigawa، بعد انفصالها عن ولاية كنو.

ويحفظ كثير من أبناء الطرق الصوفية هاتين المنظومتين، باعتبارهما من أوراد المتصوفين.

ومن علمائها أيضا الشيخ مؤدب، وهو حفيد الشيخة أم هانئ، وشيخنا الكانمي.

هذا عرض تعبير لحركة دراسة اللغة العربية ومدارسها، نرجو أن يكون باعثا لاهتمام علمائنا وشبابنا من أبناء جامعاتنا الحديثة، ونرجو الله [تعالى] أن يزدهر بهم غدنا، كما ازدهر بسالفهم أمسنا، نحمده سبحانه ونشكره وهو مجيب الدعاء، آمين.